

الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

[103] والجزم بأن المراد هو الخلافة، ثم ترتيب أحكام واستنتاجات معينة على ذلك، ليس بأولى من الجزم بغيره، فلا بد من ترجيح أحد هذه الوجوه بالقرائن. وليس ثمة ما يوجب الالتزام بخصوص هذا المعنى دون سواه مما ذكر. بل إن في الآية التي تلي تلك الآية ما يؤيد أن المراد بالآية أمراً اعتقادياً، أو نحو ذلك، وليس الخلافة، فقد قال تعالى: (أنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً. ليعذب الله المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات، وكان الله غفوراً رحيماً). 2 - بالنسبة لآية استخلاف آدم، ليس فيها ما يشير إلى أن المراد هو استخلاف النوع البشري، إلا قول الملائكة: أتعجل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء؟!. وهذا لا يدل على أكثر من أن الملائكة قد فهموا: أن هذا المخلوق الجديد (ال خليفة) له طبيعة فيها مقتضيات الشر، تقتضي ما ذكره، ولا تدل على أن الخلافة قد منحت لكل من له هذه الطبيعة. 3 - ثم، ما المراد بهذا الاستخلاف؟ هل هو الحكم والامارة؟، أم هو التسليط على الكون وما فيه في حدود قدراته، وإعطاؤه حق التصرف في ما خلقه الله، على قاعدة قوله تعالى: (هو أنشأكم من الأرض، واستعمركم فيها) ولذلك هو يطلب منهم شكر هذه النعمة، والإيمان بالله تعالى؟ الظاهر هو الثاني. ويؤيد ذلك: أن من يطالع آيات الاستخلاف يجد: أن أكثرها ناظر إلى البشر جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، ثم هي تهدد الكافرين، وتتوعدهم. ومما يؤيد أن يكون المراد بالخلافة في أكثر الآيات، هو إعمار الكون: أنه إذا كان البشر خلفاء، فهم خلفاء على أي شيء؟! إنهم خلفاء
